القصص الديني

الحلقة الأولى

قصص الأنبياء

# عيسى بن مريم

عبد الحميد جودة السحار

١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة

أخذت مكتبة الطفل فى السنوات الأخيرة تنمو وتتسع ، وكان اعتمادها فى جملته على القصص ، وكان جل هذا القصص مترجمًا أو معربًا .

وفى القرآن الكريم قصص رائع جميل ، فلم لا يأخذ مكانه فى مكتبة الطفل ؟ ولم لا تنتفع هذه المكتبة بذلك التراث الجميل ؟

فكرنا فى هذا ، فأخرجنا هذه السلسلة ، ولقد راعينا فيها اعتبارين : الأول : أن تكون النصوص القرآنية هى المصدر الأول لما نكتب ، إذ كنا نعتقد أن للقرآن فى هذه الناحية فكرة تهذيبية معينة . والثانى : أن نحقق السرد الفنى للقصص بما يربى فى الطفل الشعور الدينى ويقوى الحاسة الفنية وينمى الذوق الأدبى .

وهذه السلسلة ، بأجزائها الثمانية عشرة ، هى الحلقة الأولى ؛ وهناك حلقة ثانية وحلقة ثالثة وحلقة رابعة ؛ وأما الحلقة الثانية فهى خاصة بقصص السيرة - سيرة الرسول ﷺ . وظهرت في أربعة وعشرين جزءا ؛ وأما الحلقة الثالثة فهى خاصة بالخلفاء الراشدين وظهرت فى عشرين جزءًا ، وأما الحلقة الرابعة فستعرض صور البطولات الإسلامية فى جميع العصور .

وإننا نتقدم بالشكر إلى حضرة قائد الفرقة الجوية محمد محمد فرج الذى اقترح علينا إخراج هذه الحلقة .

ونرجو الله أن يوفقنا إلى ما فيه الخير ، والله ولى التوفيق .

**المؤلف**

# ١

رَفَعتِ امْرأَةُ عِمْرانَ وجَهَها إلى السَّماءِ وكانت حاملا ، وقالت :

ـ يا ربِّ ، لقد نذرت لك ما في بطني ؛ سأَجعلهُ في خدمةِ بيتِ الْمَقْدِس ، يعبدُك النهارَ واللَّيل ، ولا يترك العبادَةَ أَبدا .

ومرَّت الشهورُ ثم وضعتْ ، فجاءَ المولودُ بنتا . فرفعتْ رأْسَها إلى السماء وقالت :

« ربِّ ، إنِّي وضَعتُها أُنثى ، واللَّه أَعْلَمُ بما وضَعَتْ ، وليس الذكر كالأُنثى ، وإِني سَمَّيْتُها مَرْيم » .

وضمَّت ابنتها إلى صدرِها في حَنان ، ثم نظرت إلى السماءِ وقالت :

ـ ربِّ ، احفظْها وأَبناءَها مِن الشيطان .

وانتظرتْ حتى استطاعتْ أَنْ تنهض بعد الولادة ، فحملَتْ مريمَ وخرجتْ إلى بيت الْمَقْدِسِ لتُسَلِّمَها إلى العُبَّادِ المقيمين به ، ولتجعلَها خادمةً من خُدام المسجد . لقد نذرتْ ذلك إذا أَعطاها اللّه ولَدا ، وقد وَهَبَها اللّه مريم ، فكانَ عليها أَن تُنفِّذَ نَذْرَها .

## ٢

كانتْ أُمُّ مريمَ ابنةَ إمام المتعبِّدينَ ببيت الْمَقْدِس ، وكان نَبيُّ اللّه زَكريّا زوجَ أُختها ، لذلك لما جاءَتْ بمريمَ لتُعطيَها للمتعبِّدين لتعيشَ معهُم فى المعبد ، أَراد زكريَّا أَن يأْخذَها لأَنه زوجُ خالتِها ، وأَرادَ رجالٌ آخرون أن يأخذوها . فقال زكريا أنا أحقُّ بها .

فقال أحدُ الموجودين :

ـ ليسَ أَحدٌ أَحقَّ بها من أَحد ، كلُّنا هنا نخدِم المَعْبد .

فقال زكريا : بماذا ترضون ؟

قال أحدُهم :

ـ نُلقِى بأَقلامِنا فى النّهْر ، فَمَنْ جَرى قلمُهُ ضَدّ التّيار فهوَ الغالب .

فذهبوا إلى النهرِ ، وجعلَ كلٌ منهم على قلمِه علامة ، وألقَوا الأَقلامَ فى الماءِ ، فجرت الأَقلامَ كلُّها مع التيار ، وجرى قلمٌ على خلافِ الأَقلام ، فلما أخرجوه ظهَرَ أنّه قلمُ زكريّا .

فأخذها زكريا وكَفَلها وتعهّدَ بتربيتها .

٣

كبرت مريمُ وهى فى رعاية زكريا ، وقد خصّص لها مكانا فى محراب المعبَد لا يدخُلُه سِواها ، فكانت تعبد اللّه فيه ليلَها ونهارَها .

واشتهرتْ مريمُ بين أهلِها بالصَّلاح والتَّقوى ، وكانت أَعْبَدَ أَهلِ زمانها ، فكان الملائكةُ يزورونها في مكان عبادتها ، ويُعطونها فاكهةً لم يُر مثلُها . وكان كلما دخل عليها زكريَّا المحرابَ وجد عندها الفاكهةَ الفاخرة ، فيقول لها :

- يا مريم ، مِنْ أَينَ لكِ هذا ، ما خرجتِ أو تركتِ مكانَك؟

فتقول له : هُوَ مِن عندِ اللّه ، إِنَّ اللّه يرزقُ من يشاءُ بغير حساب .

كان زكريا نبيا ، وكان يعرفُ أنَّ الملائكة تزورُ الصَّالِحين، فكانَ يصدِّقُها .

وجاءَت الملائكة إلى مريم وقالت لها :

- يا مريم ، إِنَّ اللّه اختارك مِن بين النساء لِتأْتي بولدٍ عظيم. وسيكونُ هذا الولدُ نبيًا شريفا ، يُكلِّم

الناسَ وهو فى مهده ، ويدعوهم إلى عبادةِ اللّـه وحدَه لا شريكَ له . يا مريمُ أكثرى من العبادةِ والركوعِ والسُّجودِ لِتَسْتَحِقّى هذه الكرامة والنعمة .

فقالت مريمُ وهى تنظرُ إلى السماء :

- ربِّ ، كيفَ يكون لى ولدٌ وليس لى زوج ؟

فقالت لها الملائكة :

- إنَّ اللّه قادر ، يَخْلقُ ما يشاءُ ، إذا قَضَى أمْرا ، فإنّما يقولُ له كُنْ فَيكُون .

## ٤

كانت مريمُ تعبدُ اللّه الليلَ والنهار ، وما كانت تتركُ المسجدَ إلا لضرورة ، وفى يوم خرجتْ مريمُ لقضاء ضرورة ، وانفردت وحدها شرقىَّ بيتِ المقدس ، وفيما هى وحيدة ، إذ وجدتْ أمامَها رجلا ، ففزِعتْ منه ، وقالت له :

- إنّى أعوذُ بالرحمن منك ، من أنت ؟

فقالَ له الرجل :

- أنا رسـولُ ربِّك ، ولسـتُ ببَشـر ، ولكنـى مَلَـكٌ بعثنى اللّه إلَيك لأَهَبَ لك غلامًا زكيا .

فقالت مريم :

- كيف يكون لى ولد ، وليس لى زوج ، وأنا شريفة طاهرة؟

فقال المَلَك :

- لقد وَعَدَ ربُّكِ أن يُعطِيَكِ غلامًـا مِن غَيرِ زوج ، وهو عليه هيِّن ، فإنه على ما يشاءُ قدير .

إنَّ اللّه سَيَجْعَلُه علامةً ودليـلا علـى كمـال قُدْرتـه ، فإنَّه خَلَقَ آدمَ من غير أبَوين ، وسَيَخلُق ابنَكِ مـن غـير أَب .

اعتَزَلَت مريـمُ النـاس ، فلمـا شـعرَتْ بـآلام الوضـع ذهبتْ إلى جذْع نَخلة ، وأَسنَدَت ظهرهـا إليـه ، وهـى تَتَخَيَّلُ ما سَيَقولُه الناسُ عنها عندما تعـودُ إليهـم وعلـى يديها طفل ، مع أنها كانت معروفـةً عندهـم بأَنهـا مـن العابدات الصالحات .

« قـالت : يـا ليتَنـى مِـتُّ قبـلَ هـذا ، وكنـتُ نَسْـيًا مَنْسِيًّا » .

عندئِذ سمِعت صَوتَ الطفل المولودِ يتحدَّثُ ويناديهـا من تحتها :

ـ لا تَحْزَنى .

دهِشَتْ مريم وتَلَفَّتتْ ذات اليمين وذاتَ الشِّـمال ، فلَمْ تَجِد بجوارِها أَحدًا ، فعلِمَتْ أَنَّهُ الطِّفل الذى وَلَدتْهُ حديثا . واستمَرَّ الطِّفل يقول :

« فهُزّى إليكِ بجذعِ النّخْلَة تُساقِطْ عليكِ رُطَبًا جَنِيّا ، فكُلِى واشربِى وقَرِّى عَيْنا ، فإمَّا تَرَيِنَّ من البشرِ أَحدًا فقولى : إنِّى نَذَرْتُ للرحمن صَومًا فلنْ أُكلِّمَ اليومَ إنسيّا » .

٦

قامت مريمُ وحملتْ ابنها ، وسارتْ حتى وصلتْ حيث كان الناس ، فلما رأوْها تحملُ عيسى ، غضِبُوا وحزِنُوا وقالوا لها :

ـ يا مريم ، لقدْ فَعَلتِ أمرًا عظيمًا مُنْكَرًا ، وما كنّا نظنُّ أن تَفْعَلى ذلك ، لأَنَّ أباكِ كان رجلا صالحا ، ولأَن أُمّكِ لم تكنْ امرأةً سيئة ، وكنتِ فتاةً عابدة ، فما كنّا نظنُّ أنْ يَحْدُثَ هذا منك .

فأشارتْ إليه ـ ولمْ تفتحْ فمها بكلمة .

« قالوا : كيفَ نُكلِّمُ مَنْ كانَ فـى الْمَهْـدِ صَبيًّـا ؟ » هَلْ تَسْخَرينَ مِنّا يا مريم ، وتَسْتَهْزِئينَ بنا ؟

ونظـر النـاسُ بعضُهـم إلى بَعْـضٍ يَتغـامَزون . وإذا بالطِّفْلِ يُفاجئهُم بالكلام .

« قال : إنِّى عبْدُ اللّه ، آتانِىَ الكِتابَ وجَعَلَنى نبيًّـا . وجعلنى مُبارَكا أينما كنتُ وأَوْصانِى بالصَّلاةِ والزَّكـاةِ ما دمت حيّا . وبرًّا بوالِدتـى ولم يجعلْنـى جبَّارًا شـقيّا ، والسَّلام علىَّ يومَ وُلِـدتُ ويـومَ أَمـوتُ ، ويـومَ أُبعَثُ حيّا » .

## ٧

كَبِرَ عيسى وصارَ يلْعَبُ مـعَ الأَوْلاد ، وكـان يقـولُ لأَحدِهم:

ــ تريدُ أَن أُخبرَكَ ما خَبَّأتْ لكَ أُمُّك ؟

فيقول الصبى : نعم .

فيقول له عيسى : خبَّأتْ لك أمُّك تفّاحا .

ويذهبُ الولدُ إلى أمِّه ويقولُ لها :

ـ أريدُ أنْ آكلَ ما خبَّأتِ لى .

فتقول له الأُم : وأىَّ شيءٍ خبَّأْتُ لك ؟

فيقول الولد : تفاح .

فتقولُ له الأُم وهى تَعْجَب :

ـ مَنْ أَخبرَك ، ولَمْ يكُنْ معى أحد فى البيت ، لما خبَّأتُ لك التفاح .

فيقول لها الصَّبى : أخبرَنى عيسى بنُ مريم .

واستمرَّ عيسى بنُ مريمُ يُخبِرُ الأَولادَ بِما خبَّأتْ لهم أُمهاتُهم ، والأَولادُ يجدونَ ما يخبرهُم به عيسى ، فأحبَّه الأَولاد ، وتعجَّبت الأُمهاتُ مِن مقدرتِه على معرفةِ الْغَيْب .

٨

وأمرَ اللّه عيسى أنْ يدعوَ الناسَ إلى عبادةِ اللّه وحدَه لا شريكَ لـه . فخـرجَ عيسـى إلى بنـى إسـرائيل وقـال لهم :

– إنى رسولُ اللّـه إليكـم ، أَدعوكـم إلى طاعـةِ اللّـه الواحِـد ، والعمـلِ الصّـالِح ، وتـرْكِ الأَعمـال الرديئـة والمعاصى التى تُغضبُ اللّه .

فلم يَسمعوا لَه وهزأُوا منْ قولِه ، فقال لهم :

– إنى جئتكم بمُعجزةٍ من ربّكم .

فقالوا له : وما هذه المعجزة ؟

قال لهـم : « أَخلقُ لكـم مـن الطّـين كهيئـةِ الطّيْر ، فـأنفخُ فيـه فيكـونُ طيرًا بـإذن اللّـه ، وأُبْـرِئُ الأَكمَـهَ والأَبْرَصَ وأُحْيِي الموْتَى بإذنِ اللّه ، وأُنبّئكُم بما تـأكلونَ وما تدَّخِرونَ فى بيوتكُم » .

فارتفعت أصواتُ بنى إسرائيل :

ـ يا عيسى ، لا تستطيعُ أنْ تفعلَ ذلك .

فقال لهم : وإن فَعَلْتُه تُؤْمِنوا بى وتصدِّقُونى ؟

فارتفعتْ أَصواتُ الناس : نعم نُصَدِّقُك .

فأخذَ عيسى قطعةً من الطِّين وجعلَها على شكلِ الطَّيْر ، ثم نفخَ فى الطِّين فدبَّت الرُّوحُ فيه ، وطار .

فصاح صائح : هذا سحر ، إنّه ساحر .

وقال آخر :

ـ أرنا يا عيسى كيفَ تردُّ البصرَ إلى الأعمَى .

وتقدم رجلٌ أعمى إلى عيسى ، فمرَّرَ يَدَهُ على عيْنيه ، ففتحَ الرجلُ عينيه ، ورأى النورَ ورأَى الناسَ الذين حوله . ولكنَّ بنى إسرائيلَ لم يُؤْمِنوا بعيسى ولم يتّبعوه بل صاحوا :

ـ لنْ نُصدِّقكَ حتى تُحْيىَ الموتى .

وذهب عيسى إلى قبر ، وأَمرَ الميت أَنْ يقوم بإذنِ اللّه ، فقام الميتُ وخرجَ من القبْر وهو ينفضُ رأْسَه من التُّراب ، وانتظر عيسى أن يصدِّقَه بنو إسرائيل ويؤمنوا باللّه الذى أرسله ، ولكنّهم قالوا :

ـ إنّك سحَرْتنا ، ولنْ نصدِّقَك أَبداً .

وانصرفوا من حوله وتركوه وحيدا .

## ٩

لمْ ييئس عيسى من بنى إسرائيل . وعاد إليهم يدعوهم إلى عبادة اللّه وحده ، فقال لهم :

ـ يا بنى إسرائيل إنى رسولُ اللّه إليكم ، مُصدِّقا لما بَيْنَ يدىَّ من التوراة ، ومُبَشِّرًا برسولٍ مِن بَعْدِى اسْمهُ أحمد .

فقال له رجلٌ مستهزئا :

ـ يا عيسى ماذا أَدَّخِرَ فى بَيْتى ؟

فقال له عيسى :

- تدَّخِر فى بيتك كذا وكذا .

وذكر له مـا يدَّخـرهُ فـى بيتـه ، فسـكت الرجـلُ ولم يتكلم ؛ لأَنه وجد أَن ما قاله عيسى صحيح .

وجاءَ العمْيانُ والمرضى إلى عيسَى جماعات جماعات ، فكاَن يرُدُّ إلَى العمْيان أَبصارهم ، ويَشفى الْمَرْضى من أَمراضِهـم ، ومـع أَنـه كـانَ يفعـلُ هـذه المعجـزات ، لم يصدِّقه بنو إسرائيل ، فقال لهم :

« جئتكم بآيةٍ من ربِّكم ، فاتَّقوا اللّه وأَطيعـون . إنَّ اللّه ربى وربُّكم فاعْبُدوه ، هذا صراطٌ مستقيم » .

فقال الناس :

- هذا سِحر ، لنْ نصدقك أبدا .

قال عيسى :

« مَنْ أَنصارِى إلى اللّه » ؟ « قال الحَواريُّـون : نحنُ

أَنصارُ اللّه ، آمَنّا باللّه ، واشهدْ بأَنّا مُسْلِمون » .

ورفعوا أَبصارَهم إلى السَّماء وقالوا :

« ربَّنا آمَنّا بما أَنْزَلْت ، واتَّبعْنا الرسول ، فاكتبْنا معَ الشّاهِدين » .

## ١٠

وفى ذات يوم ، أَمرَ عيسى الحَوَاريِّين بالصِّيام ، فلما أَتَمُّوا مدَّتَه قالوا : « يا عيسَى بنَ مريم ، هـل يَسْتَطيعُ ربُّكَ أَنْ يُنزِّل عليْنا مائدةً منَ السماءِ » .

« قال : اتَّقُوا اللّه إنْ كنتم مُؤْمِنين » .

« قالوا : نُريدُ أَن نأْكُلَ مِنْها ، وتَطْمَئِنَّ قلوبُنا ، ونَعْلَمَ أَنْ قدْ صدَقْتَنا ، ونكونَ عليْها مِنَ الشّاهِدين » .

فقام عيسى ، وسأَل اللّه فى خُشوع :

« ربَّنا أنزِل علينا مائدةً من السماءِ تكون لنا عيدًا

لأَوَّلنا وآخرِنا ، وآيةً منك وارْزُقْنا وأَنتَ خيْرُ الرَّازِقين» .

« قال اللّه إنى مُنزِلُها عليكم ، فمن يكفرْ بَعْدُ منكم ، فإنى أُعذِّبُه عَذابًا لا أُعذِّبه أَحدًا من العالَمين» .

## ١١

خرج عيسى بن مريم والحَوارِيُّونَ حولَه ، فلما رآه اليهودُ قالوا : جاءَ السَّاحرُ ابنُ السَّاحِرة .

فقال لهم عيسى :

ـ يا قومِ ، إنّى رسولُ اللّه إليكم ، فصدِّقونى .

فشتموه ، وقذفوه بالحجارة ، فقال لهم :

ـ يا معاشر اليهود ، إن اللّه يكرهُكم .

فقال قائل منهم :

ـ اقتلوا هذا الساحر ، اقتلوه تَستَريحوا منه ، إنه

يَسُبُّكم كلَّ يوم ويَشْتُمكُم ، وهو يريد أَنْ يُفرِّق بينكم .

فارتفعت أَصواتُ الناس :

ـ اقتلوه . اقتلوه .

فأَخذَه الحوارِيُّون ودخلوا بيْتاً من بيُوتِهم ، وأَغلقوا الباب خَلْفَهُم واستمرَّ بنو إسرائيل فى هِياجهم يتحدَّثون عن قتلِه ، وهجموا على باب البيت وكسروه ، ودخلوا يصيحون فى غضب :

ـ اقتُلوا هذا الساحر ، اقتلوا من جاءَ يخدعُ ضعفاءَكم ، ويفرِّقُ بينكم .

وأَمسكوا أَحدَ أَصحابه وهمْ يحسبون أَنه عيسى بنُ مريم ، ويصيحون فى ثورة .

ـ اصلُبوه ، اصلبُوا عيسى ابنَ السَّاحِرة .

وأَخذوه وناسٌ كثيرون يسيرون حوله يَشتمُونه

وَيَشتمون أُمه ، وَجاءُوا بخشبةٍ وصلَبوه عليها ، وأَخذوا يقذْفونه بالحجارةِ والدَّمُ يسيلُ منه ، وبقى المصلوبُ يتعذّب حتى مات ، وانصرف بنو إِسرائيل وهم يَحْسُبون أَنهم صلبوا عيسى بنَ مريم . وما قتلُوهُ وما صَلبوهُ ولكنْ شُبِّه هم .

## ١٢

ترَكَ عيسى جُموعَ بنى إسرائيل الثّائرة الكافرة ، وسار وحده يفكّر فى بنى إِسرائيلَ الذين يَقْتُلون أَنبياءَهم ويَكذّبونهم ، وفيما هو سائرٌ يُفكّر إِذ قال اللّه له :

« يا عيسى ، إِنى مُتوفّيكَ وَرافِعُكَ إِلىّ ، ومُطَهِّرُكَ مِنَ الّذين كَفَروا ، وجاعِلُ الّذينَ اتّبَعُوكَ فوقَ الّذين كَفروا إِلى يوم القيامة ، ثم إِلىّ مَرْجِعُكم ، فأَحْكُم بَيْنكم فيما كنتم فيهِ تخْتَلِفون » .